

قصيدة للشاعرة ناتالي حنظل

(ترجمة عابد السماعيل)

مرّة في باريس

إليك محمود

على الباب تُلقِي عليّ التحيّة.
كأسٌ من النبيذِ الأحمر - قصرٌ مارغو،
أبحثُ عن ظلالٍ ربّما لحقت بنا،
أبحثُ عن الحائِطِ خلفنا، أماننا.
نجلسُ. كونسرتو "أرانجوز" بيننا.
إنّه منتصفُ الليلِ أو الوقتُ تأخّر،
إنّه الصّباحُ أو هو التّهَارُ.

الصّمتُ يمزّقُ صوتيّنا.
باريسُ باردةٌ. الظلامُ يهبطُ باكراً.
ساحةُ الولايات المتحدة.
شجرٌ يعرى، عصفورٌ بجناحين
ينبتان بين يديك.
رغبةٌ. صدى طلقة.
هُرُ. الرّصاصةُ التي عَبَرَتْ

سرفانتس، تقولُ.
أتذكّر، أجيبُ.
تركنا كتابه في حلم البارحة.
هل يمكننا الرجوع
أم أن السّجن أتى معنا؟

من نحنُ إذا كانت الأرضُ
عالقةً في لوحةٍ بلا توقيع؟
أين عيناكُ؟
عاطفةً. راحةُ يدٍ. أنفاسُ.
وحدها باريسُ تسمحُ لنا
بأن نؤمنَ باستعاراتنا.

نحسدُ أولئك الذين
يمرون بنا خفافاً.
هم ينامون في أسرّتهم
ونحن نبحثُ عن أسرّتنا.
البيتُ أبعدُ، أبعدُ، منّا -
زهرُ برتقال، زيتون، وقهوةُ.
أسقطُ لألتقطَ ظلكُ،
تساعدني كيلا أسقطُ،
سيجارة واحدة، في كلّ مرّة.
تقولُ، هم دائماً يعثرون علينا،
قرية واحدة، في كلّ مرّة.
يقولون، إنه بيئنا الآن،

ولكن ها هنا غرفة،
حتى وإن كنتم لا تستحقون غرفةً.
تقول، أستمع لبيتهموفن.
وأتبع عينيك
لأفهم أطيانك في الزحام،
الوطن، الأم الغائبة.
هل نسوا أننا نستطيع أن نحب؟

لحن "ابتهال مريم" يعلو.

تعطيني قصيدةً

عن فتاة أحببتها.

النافذة مملوءة بالمساء،

مملوءة بجرح،

بجرح مملوء بالصدى،

بصدى مملوء بصرخة.

أقترب منك أكثر.

أشتهي أن أنام في المكان

الذي ينام عميقاً في روحك،

أرغب أن أمسك يد أمك،

يد أبي.

أرغب أن أرى الكرمل من عينيك،

الفتاة التي قبلتها.

ست، ستون شتاءً، صيفاً.

حبات مطر تهطل فوق صلواتنا،

فوق الخطى المحرمة علينا.

العصافير آتية اليوم، تقولُ لي.
الأرضُ أصغرُ من الأرضِ،
أصغرُ، أصغرُ من خطواتنا.

أنادي اسمك، وتحيبُ.
الموتُ. غلبتَ الموتَ في لعيتِه.
الحريةُ التي أخذتَ، تأخذُك،
وأعثرُ على ألوانِ خريطتنا الباهتة.
أنتَ لا تقولُ أبداً وداعاً، لا توميُّ حتى إيماءة.
نلاقي الموتَ كي لا يلاقينا.
نغلقُ البابَ، ونفكرُ بالحقول،
بالأشعارِ التي سنكتبُ، بالرسالةِ التي لن نُرسلَ.
إنشاء الله، تقولُ، أراك فيما بعد.
إنشاء الله، أقولُ، نعم، الأرضُ تتكلمُ العربيةَ.

إلى محمود درويش 1941-2008